القضايا الفكرية في مسرحيات مصطفى محمود

د. سماح خميس مسعود

مدرس الدراما والنقد

قسم الدراسات المسرحية

كلية الآداب

جامعة الإسكندرية

ملخص البحث باللغة العربية

يعد مصطفى محمود من أكبر المؤيدين للفكر الوجودي أبان ظهوره ، ولكنه سرعان ما أصبح من أشد المعارضين له .هذا التحول الذي رصدته الباحثة فى المبحث الأول – بعنوان " التحول الفكري من المادية إلى الإيمان الخلاق " – يعد البداية عند مصطفى محمود في إرساء قواعد فنية جديدة. قائمة على تحطيم الأفكار التي صدرها لنا الغرب لينشئ عالما جديدا ايجابيا . كان مصطفى محمود ناقما على كل ما يقدم من فن حسي يهلك النفس وأفكار هدامة تغيب العقل . وإذا تتبعنا إنتاجه المسرحي نجد أن جميعها يدور في فلك هدفه الأصيل وهو الإصلاح وهو ما رصدته الباحثة في المبحث الثاني بعنوان " الرسالة الإصلاحية فى مسرح مصطفى محمود " الذي استطاع أن يقدمه في صورة فنية وصياغة درامية بسيطة معتمدا على محورين أولهما .. رفض السيطرة المادية الغربية الهدامة . وثانيهما .. التحكم في النوازع البشرية

the intellectual issues in moustafa mahmoud palys

Mustafa Mahmoud is one of the biggest supporters of the existential thought during his appearance, but he soon became one of the most opponents. This converting , which spotted by the researcher in the first topic - titled "intellectual shift from the physical to the faith creative" - is a beginning of Mustafa Mahmoud in the establishment of new technical rules based on ideas that break down her chest us west to establish a new world positively. Mustafa Mahmoud was a malcontent on all offers of art sensory perish self-destructive thoughts absent mind. If we follow the production of theatrical, we find that all of them revolving around the goal of authentic, a reform which is monitored by a researcher at the second section, entitled "reformist message in Mustafa Mahmoud theater" who was able to offer in art image and drafting dramatic simple, relying on two axes first .. rejection of Western physical control destructive. Secondly .. Control in human impulses

مقدمة:

استطاعت الفلسفة الوجودية أن تطرح نفسها إبان الحرب العالمية الثانية حيث ساد شعور الإنسان بالقلق واليأس جراء الفناء الذي حدث نتيجة الحرب، وأصبحت هناك حاجة لفهم معنى الوجود. "وقد راجت كتب الوجوديين بشكل هائل بين عامي ١٩٥٠ – ١٩٦٠في أوساط المثقفين الشباب في كل أنحاء العالم، وكانت عقول الأجيال العربية الجديدة من المثقفين تضج بموضوعات. وأسئلة شبيهة بتلك التي طرحها الوجوديون في الغرب – مع اختلاف الأسباب – عن الحرية وجدوى الحياة، ولغز الموت، ومعنى الخير والشر، وطبيعة التقدم، وحقيقة وجود الله، والبعث بعد الموت. وكان مصطفى محمود أهم وأجرأ المعبرين عن هذا الاتجاه في الثقافة العربية المعاصرة" (i) ، ولكنه أصبح لاحقا من أكبر المعارضين للحضارة المادية الغربية الهدامة، تلك الحضارة التي شوهت من وجهة نظره الإنسان والحياة.

ويظهر هنا تساؤل كيف استطاع مصطفى محمود أن يكشف زيف الحضارة الغربية ويقنع العقول بترك تلك الحضارة البراقة والتمسك بكل ما هو أصيل وعربي. وكيف استطاع أيضا أن يستخدم الفن لبث الأفكار الإيجابية في العقول العربية بعد أن خربه الغرب.

يقول د. مصطفى محمود "لن يختلف معي أحد على أن الكثير من أشكال الفن الذي يعرض علينا لا يدخل تحت اسم الفن، وإنما هو إهانة للفن، وهو يستفز المشاهد بتفاهته وهزله، والتي تكاد تدخل في اختصاص بوليس الآداب. وبعض الأغاني هي كباريه درجة ثالثة، وبعض الهزليات المسرحية هي رقص مواخير، وإسفاف وتهريج وبذاءات .. مثل هذا الفن المستورد والمشاهد الحسية مع المعاناة الموجودة ومظاهر الغنى الفاحش والفقر المدقع يمكن أن يستفز شاب متهور وتدفعه إلى الجريمة. إن العيب في ثقافة التسلية ومسرح الهزل. إن قيمة الإنسان هي ما يضيفه إلى الحياة بين ميلاده وموته".(ii)

المبحث الأول: التحول الفكري من المادية إلى الإيمان الخلاق:

كان الصراع بين التيارات المادية والاتجاهات الدينية المتجذرة في بنية المجتمعات العربية من سمات هذه الفترة، وقد أصبحت من اهتمامات مصطفى محمود الفكرية أن يبحث في قضايا الإنسان والحياة.

"ولد مصطفى كمال محمود حسين أو مصطفى محمود في شبين الكوم المنوفية عام ١٩٢١ لأسرة متوسطة، وكان الأب موظفاً في مديرية الغربية، متدين، وقدوة في أخلاقه، محباً لأولاده وكذلك الأم. بعد وفاة الأب ودخول مصطفى محمود كلية الطب حبا في العلم انتقلوا للقاهرة، وفى السنة الثالثة من دراسته رقد مريضا لمدة سنتين وعكف طوال هذه الفترة على القراءة والتفكير وتكونت داخله شخصية المفكر المتأمل والكاتب الأديب، وحين عاد لدراسة الطب بعد شفائه كان قد أصبح إنسانا آخر. أصبح الفنان الذي يفكر ويحلم ويقرأ أو يطالع بانتظام أمهات كتب الأدب والمسرح والرواية. وبسبب هذه الهواية الجديدة التي ما لبثت أن تحولت إلى احتراف، وكتابة منتظمة في الصحف في السنوات النهائية بالكلية، فقد بدأ يكتب في مجلة التحرر وروز اليوسف" (iii)

*** رحلة مصطفى محمود الفكرية:**

يقول د. مصطفى محمود عن رحلته من الشك إلى الإيمان إنها "لم تكن إنكاراً أو عناد أو كفراً، وإنما كانت إعادة نظر منهجية، حاولت أن أبدأ منها من جديد بدون مسلمات موروثة، وإن كنت قد بدأت قطار الفكر وقطار الدين من أوله من الصفحة الأولى، وانتهيت من الرحلة إلى إيمان أشد، وعقيدة أرسخ، وانعكست الرحلة في التسعة والثمانين كتابا التي قمت بتأليفهم، وكانت حياتي رحلات مستمرة في الغابات الاستوائية وعواصم أوروبا والبلاد العربية، وكانت لي رحلة أخرى داخل نفسي ركبت فيها سفينة العلم والمعرفة والفلسفة والدين، كانت حياتي الأدبية في خلال ثلاثين عاما هجرة مستمرة نحو إدراك الحياة والبحث عن الحقيقة، وكان كل كتاب محطة على طريق هذا السفر الطويل.

كانت المجموعة الأولى من الكتب التي صدرت بين عامي ١٩٥٤و ١٩٥٨ تمثل المرحلة المادية العلمانية وفيها قدمت كتبي (الله والإنسان) – (إبليس) – ومجموعة قصص (أكل عيش) و(عنبر ٧). وفى هذه القصص حاولت أن أصور المجتمع من منظور واقعي صرف، وكان موقفي من المسلمات الدينية هو مواقف الشك والمناقشة.

وكانت المرحلة الثانية هي بداية الشك فقد اتضح عجز الفكر العلمي المادي عن أن يقدم تفسيرا مقنعا للحياة والموت، فوقفت أمام الموت متأملا فلا يمكن أن يكون الإنسان هو تلك العناصر والأحشاء الملفوفة في قرطاس من الجلد فالحياة الإنسانية وحقيقتها لابد وأن تكون متجاوزة ككل هذا القالب المادي المحدود. في هذه المرحلة كتبت مؤلفاتي (لغز الحياة) ورواية (المستحيل) وتستمر هذه المرحلة إلى أوائل الستينيات.

وفى ١٩٦٢ تأتى المرحلة الثالثة حيث أهاجر لاستكشاف الحقيقة في الغابات الاستوائية وتكون مثمرة هذه الرحلات في ثلاثة كتب هي: (الغابة) و(مغامرة في الصحراء) و(حكايات مسافر) وذلك عن رحلة إلى أوروبا.

تأتى المرحلة الرابعة والتي أهاجر فيها إلى ما وراء العلم لأكتب لونا جديدا من أدب الرواية العلمية، وفى هذه المرحلة قدمت روايات (العنكبوت) و(الخروج من التابوت) و(رجل تحت الصفر) و(اينشتين والنسبية) ثم تواكب هذه المرحلة وتأتى بعدها مرحلة أدبية قدمت فيها معظم أعمالي الأدبية ومنها مسرحية (الزلزال) ومسرحية (الإنسان والظل) ومسرحية (الإسكندر الأكبر) ومجموعات قصص مثل (رائحة الدم) و(شلة الأنس) وروايات اجتماعية مثل (الأفيون).

وفى أواخر الستينيات أدخل عالم الأدبيات في سيرة طويلة تبدأ بالفيدات الهندية والبوذية وغيرها ثم اليهودية والمسيحية والإسلام وانتهت بالقرآن الكريم والصوفية الإسلامية لأجد كل الإجابات لكل ما كنت أبحث عنه من مشاكل أزلية." (iv)

لقد اتخذ د. مصطفى محمود العلم طريقا للإيمان، وتناول الماديات لإبطال حجج الملحدين، فانتقل من الشك والحياة المادية إلى الإيمان واليقين بالله" (v) " فتأتى مرحلة التحول الكامل إلى الإيمان وتتوالى مجموعة من كتب الإسلاميات (القرآن محاولة لفهم عصري)، (رحلة من الشك إلى الإيمان) .. (الله) .. (محمد) .. (الشيطان يحكم) .. (الروح والجسد) .. (حوار مع صديقي الملحد) وتغطى هذه المرحلة سنوات السبعينيات، وفى هذه المرحلة اتخذ موقفا صريحا مناهضا للفكر الماركسي وقدم كتب: (الماركسية والإسلام)، (لماذا رفضت الماركسية)، (أكذوبة اليسار الإسلامي) ليناقش كل ألوان الغزو الفكري من وجودية إلى عبثية فوضوية إلى مذاهب الرفض والتمرد واللامعقول.

وفى أواخر السبعينيات تأتى المرحلة الصوفية ليقدم الثلاثية الصوفية: (السر الأعظم) .. (ورأيت الله) .. (الوجود والعدم) .. (أسرار القرآن) .. (القرآن كائن حي) .. مجموعات قصص مثل (نقطة الغليان) .. (أناشيد الأثم) .. (البراءة) .. ومسرحيات مثل (الشيطان يكن في بيتنا) .. (الطوفان) ورواية (المسيح الدجال) .. تلك هي رحلة مصطفى محمود بطول ثمانين عاما وتسعة وثمانين كتابا تشهد على عصر من نافذة العلم والإيمان."(vi)

لقد أدرك مصطفى محمود أن الصورة المادية لا تفسر الحياة ولا تفسر حقيقة الغيب، فالتفسير المادي للإنسان لا يفسر حقيقة الإنسان، فتبدل خطاب مصطفى محمود المادي وانفتحت أمامه فضاءات فكرية وكانت ثمرة هذه التجارب أن أصبح المفكر الديني الخلاق.

*** مصطفى محمود والمسرح الفكري:**

لقد أثرى مصطفى محمود المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات، وتميز أسلوبه بالجاذبية والبساطة والعمق، كما تميز بإمكانياته الفنية التي جمع فيها بين الحس الفني والإدراك الفكري. "يقول جلال العشري في كتابه (مصطفى محمود شاهد على عصره): كان مصطفى محمود يتعاطى الأشياء بعقله، ثم يعيها بوجدانه، ثم يجسدها بقلمه، فإذا هي مسرحية أو رواية أو قصة قصيرة، فإذا هي قطعة من الواقع وشريحة من الحياة، أو هي بنية حية فيها دسم الواقع ونبض الحياة، فنه القصصي غير قابل للتمذهب، استطاع أن يفلسف حياته ويحيا فلسفته، وأن يتخذ من أزماته النفسية الحادة، وزلازله الباطنية العنيفة، وتجاربه الحية، وخبراته الوجدانية مادة لأدبه فلم يتجه إلى تصوير نماذج كلاسيكية من الشخصيات، وإنما اتجه إلى تصوير أفكار في مواقف تحس وتتحرك، وتطور نفسها، فالشخصيات عنده وعاء للفكرة والقضية" (vii).

يقول توفيق الحكيم عن المسرح الفكري، إنه ليس مسرحا مجردا شأن مسرح التجريد عند بيكيت ويونسكو، فالمسرح الفكري تقليدي في بنائه وفى رسم شخصياته ولكن العنصر المميز للمسرح الفكري هو أن ما يشغل الشخصيات ليس موضوعا عاطفيا أو نزاعا ماديا بقدر ما هو قضية فكرية. وبرغم أن مصطفى محمود هو في الأصل طبيب ولكن عمق تفكيره وثرائه المعرفي، وموهبته الفنية خلقت إنتاجا فلسفيا فريدا، وامتد هذا الإنتاج إلى الفن المسرحي ليشكل أعمالا مسرحية تندرج تحت مسمى المسرح الفكري" (viii) فالمسرح الفكري هو مسرح يثير قضايا فكرية خلال سياق درامي جاذب لعقل المتلقي.

ويقول د. مصطفى محمود "لو سئلت بعد هذا المشوار الطويل من أكون، هل أن الأديب القصاص أو المسرحي أو الفنان أو الطبيب. لقلت: كل ما أريده أن أكون مجرد خادم لكلمة لا إله إلا الله ، وأن أكون بحياتي وبعلمي دالا على الخير" (ix)

المبحث الثاني: الرسالة الإصلاحية في مسرحيات مصطفى محمود

يؤمن مصطفى محمود بأن الفن أداة يمكن أن تستخدم في الخير ويمكن أن تستخدم في الشر "فالفيلم السينمائى يمكن أن يكون داعيا إلى الحق والخير والجمال كما يمكن أن يكون داعيا إلى الانحلال، ولا ذنب لدور السينما ولا لرواد السينما، وإنما الذنب ذنب العقول الماكرة والمذاهب التي تستخدم هذه الأدوات للتهديم. على سبيل المثال فإن السوفيت هم أول من استخدم السينما لهدم الأفكار الدينية ونشر المادية في العالم كله، وكل زعيم يحاول أن يستدرج أتباعه إلى ولاء أعمى وتبعية مطلقة، حيث تأخذ الشباب من نفسه نقطة الضعف، نقطة الفراغ الديني والتعطش إلى الهدف والمثال والحق والخير، إنها جميعا تحاول أن تقدم الشباب همزة الوصل، همزة الوصل بين شباب مثالي مندفع وبين أهداف يجملها كل فريق على هواه ويدعى أنها الحق. ولكن الحق هو الله سبحانه وتعالى، الله هو المنبع الوحيد للأخلاق والكمال كما يقول كل دين. والخواء والفراغ والخراب النفسي الذي يعيش فيه شباب العالم الآن هو بسبب افتقاد همزة الوصل تلك. إن همزة الوصل الناقصة هي التي أودت بالشباب إلى هذه الانفجارات الانتحارية وهى وراء كل تطرف إجرامي أو عدواني وهى وراء إدمان المخدرات وحالة الهروب والاغتراب. إنه دائما شباب يفتقد الهدف والغاية. وقد نجح الزعماء أمثال هتلر وستالين وماركس ومن قبلهم زعماء الفرق المتطرفة أمثال الخوارج وجماعة التكفير والهجرة وجماعة القس جوبز .. كل هؤلاء نجحوا مع أتباعهم لأنهم قدموا همزة وصل مزيفة وقدموا محرابا بعيدا عن المسجد والكنيسة وإيمانا مريضا بديلا عن الإيمان السليم وهدفا يصلح لامتصاص الطاقة الشبابية وشغل الوقت الضائع. ولمواجهة تلك الطاقة السلبية لم تعد تجدي العلاجات الجزئية، وإنما أصبح واجبا أن تواجه بإصلاح جذري، ولن يتحقق ذلك إلا بأن نقدم للشباب ما ينقصه بالفعل، همزة الوصل الحقيقة التي تعمر خواءه وتنور باطنه .. وذلك بالدين الحقيقي والإيمان السوي. بهذا وحده سوف تهدأ نفسه ويسكن وجدانه وتستعيد فطرته توازنها ويتحول قلبه المريض المنعزل العدواني إلى قلب محب مشارك مسارع إلى الخير والعطاء. إن استحضار معنى الله الواحد في الوجدان أصبح القضية الأولى العاجلة، فالعالم انحدر إلى غفلة وانشغال، والله أصبح غائبا عن الوجدان الإنساني الغارق في التفاصيل الاستهلاكية واللذات السريعة. والتليفزيون والسينما والمسرح والراديو والكتاب والمجلة أصبحت أدوات خطيرة تزيد من إغراقنا في الغفلة والغيبوبة والإغماء الحسى بالأغاني الجنسية وأفلام الجريمة وإعلانات الإثارة. والنتيجة أن انحدرت النوعية الإنسانية إلى نوعية حيوانية فأصبحنا نرى الناس يتناطحون أفرادا وجماعات كالأبقار على اللقمة والدرهم والقيراط والمرأة ...". (x) "إن

اليقين الديني هو الذي يرد للإنسان اعتباره وكرامته وينزل السكينة على قلبه ليصل الإنسان إلى حالة من العمار الروحي والتكامل الداخلي فيشعر أنه أقوى من الموت وأقوى من الظلم. وبهذا اليقين يجابه أعظم الأخطار ويقهرها فهو بإيمانه في حصن أقوى من دروع الدبابات، حصن لا سبيل إلى اختراقه بأي قذيفة. والدين لا يرفض الحياة ولا يرفض العقل، والإسلام بالذات ينطلق من مبدأ حب الحياة والحرص عليها ورعايتها ويحض على احترام العقل وعلى طلب العلم ويقدم شريعة عصرية توحد بين الروح والجسد في التئام فريد .. لا الروح تطغى على الجسد ولا الجسد يطغى على الروح، وإنما يتصرف الإثنان على أنهما واحد. فهو لا يطلب منا أن نميت الشهوة وإنما يطلب منا أن ننظمها ونوجهها في إطار العلاقة المشروعة" (xi)

لقد أيقن مصطفى محمود بأن الفن رسالة إصلاحية فاتخذ الإصلاح الفكري هدفا لفنه المسرحي، هذا الإصلاح الذي لن يتأتى إلا بمواجهة الأفكار الغربية والموجات الحضارية الهدامة، مع بناء النفس السوية القادرة على التحكم في نوازعها. إنه يخاطب العقل محاولا الوصول إلى النضج الحقيقي اعتمادا على الأسس الدينية الكلية البناءة.

وإذا تتبعنا إنتاجه المسرحي والذي يتضمن إحدى عشرة مسرحية نجد أن جميعها يدور في فلك هدفه الأصيل وهو الإصلاح، هذا الهدف الذي استطاع أن يقدمه في صورة فنية وصياغة درامية بسيطة – قد اعتمد على محورين هما:

– رفض السيطرة المادية الغربية الهدامة

– التحكم في النوازع البشرية.

المحور الأول: رفض السيطرة المادية الغربية الهدامة:

في مسرحية (الشيطان يسكن في بيتنا) والتي كتبها مصطفى محمود عام ١٩٧٣ استطاع أن يبرز فكرته دون غموض ليصل في نهاية المسرحية لهدف واضح وهو توعية المتلقي للانتباه للمبادئ الغربية التي تختلف في مضمونها عن الروح العربية فعلينا الاستفادة من الغرب ولكن دون التشبع المطلق أو التغيير للأسوأ.

والمسرحية مكونة من ثلاثة فصول، وتعرض لشخصية (الشيخ طنطاوى) وهو رجل صوفي في الأربعين الذي يظل في صراع طوال المسرحية مع (سونيا) وهى ممثلة إغراء مشهورة والتي تضع كل ما تملكه تحت أمر الشيخ رغبة منها في جعله مرشدا روحيا لها ولفرقتها وما يقدمونه من فن. وتظل سونيا في إقناع مستمر للشيخ طنطاوى في حوار يبدو وكأنه صراع بين الخير والشر داخل النفس البشرية. ويتضح من الأحداث أن الشيخ قد وقع في حب وإغراءات سونيا، وبدأ في التخلي عن مثاليته شيئا فشيئا، ولكنه يدرك المؤامرة

التي تقودها سونيا لنشر الرذيلة باسم الدين فيتصدى لها مع مريديه الذين اتبعوه في كل فعل إيمانا بقدسيته دون إعمال للعقل. لقد أعلن مصطفى محمود بمنتهى الوضوح ضرورة الحذر من رغبة الغرب في السيطرة على الشرق لتصبح التابع والعنصر الأضعف الذي ينساق وراء الشعارات المادية البراقة والغرائز تاركا كل ما هو أصيل وأخلاقي، بل على الشرق أن يتمسك بمبادئه وأخلاقه السوية مع الاستنارة بالتطور الغربي فيما يفيد فقط.

"طنطاوى: أنا مش حارفض العلم. أنا حارفض التوظيف السيئ للعلم، العلم سلاح محايد، ممكن يبقى قنبلة ذرية مهلكة، وممكن يبقى طاقة خيرة تنور مدينة، ممكن الراديو يثقف ويعلم ويفيد، وممكن يضيع ويتلف ويخرب، ممكن يذيع الصدق، وممكن يذيع الكذب.

- أنا حاخد العلم وأوظفه على مرادي ولفايدتى وللخير.
- وقع الحافر فيما حفر. كنتم تحفرون لنا طول الوقت، وكأن معاولكم مزوقة وجميلة .. مرة اسمها العلم، ومرة اسمها التمدن، ومرة اسمها الفن، ومرة اسمها الفلسفات المستوردة والأفكار العصرية، ومرة اسمها المخدرات والموضات وأدوات الزينة. ولكن اليوم يتغير كل شئ، خذوهم وقيدوهم، اليوم تعود إلينا بلادنا وأرضنا وشخصيتنا" [xii]

كان مصطفى محمود مؤمنا بأن التطور الغربي المقنع بمبادئه المادية المزينة والمثيرة للرغبات هو العدو الأول للعالم الإسلامي، وأن الخواء النفسي والبعد عن الدين، وتعطيل العقل مع الانسياق وراء رجل الدين أو القائد دون تفكير، وكذا النزعة الغريزية غير المحكومة للمتعة هي الطرق التي استطاع بها الغرب أن يتسلل بها إلى العقول الشرقية. وينبه مصطفى محمود للأهداف الصهيونية في إشارات خفية على لسان شخصيات مسرحية وذلك في محاولتها الدؤوبة للسيطرة على العالم.

"سونيا: البداية مش بطالة سمعتوه قدامكم بيصرح بالقبلات بشرط أنها تكون في الهواء، وبالرقص الجنسي بشرط أن يكون غير مباشر، وبالكوميديا اللي ضربنا فيها المأذون بالنبوت، وإمبارح أخذت منه تصريح بشرب البيرة على أنها مشروب خفيف غير مسكر ينشط الكبد ويدر البول. والبقية تأتى، ولما تبتدى التنازلات مابتنتهيش، وإذا نجحت الخطة زى ما رسمناها حيبقى الشيخ بعد أيام مفتى الانحلال .. ويحول البلد إلى شعب محلول مغمى عليه، وباقي العملية حتكون أسهل علينا من قزقزة اللب حنستولى على الأرض والناس". [xiii]

وفى موضع آخر يقول الشيخ طنطاوى

"طنطاوى: عاوز أعرف إيه إلى بيجرى في الخفاء. عاوز أعرف الإيدين اللي بتخرب ولحساب مين بتخرب. فيه إغراق متعمد لكل شئ في الجنس والعرى والمخدرات والهزل. إن كل محاولة للبناء تنقلب لمشروع هدم"..(xiv)

أما مريديه فقد انساقوا معه، وهو الأمر الذي يرفضه مصطفى محمود المؤيد دائما لإعمال العقل، في إشارة لانسياق العرب وراء رجل الدين أو القائد دون تفكير فعندما طلب الشيخ طنطاوى من أتباعه مشاركته في العمل عند سونيا لم يترددوا وعندما جاءت لطنطاوى الصحوة آمنوا بها. ولكن وضع مصطفى محمود على لسانهم تساؤلات تثير انتباه المتفرج وتشير إلى التاريخ الصهيونى خاصة وأن هؤلاء التابعين يحملون أسماء الأنبياء.

عيسى: غرقونا في الدعارة وقالوا هي الفن.
إسماعيل: علمونا الإلحاد وقالوا هو العلم.
أحمد: فرقونا بالصراع الطبقى وقالوا هي العدالة الاجتماعية.
عيسى: خدوا أرضنا.
يحيى: وخيراتنا.
عيسى: وكنوزنا.
أحمد: والآخر حيقتلونا.

لقد أوضح مصطفى محمود أن النهضة العربية الحقيقية لن تأتى إلا بالتمسك بالمبادئ والأخلاق التي أسس لها الدين الإسلامي، وعدم الانحراف وراء الأفكار المستوردة الهدامة مشيرا إلى دور الفن في إعمار البنية الإنسانية. (xv)

"الشيخ طنطاوى: إن ما يخرج من فم الممثلات والممثلين في بلاتوهات السينما والمسرح ينجس أمة بأسرها، هذا هو الأمر الذي سأحاول أن أغيره هي معركة لابد منها. لا نستطيع أن نقف مكتوفي الأيدي نرى الفساد يدب في كل شئ ونكتفي بالتراتيل والتسابيح في الخلوات.

- من أي بيت استوردت الكريوجرافى ده، دي صيحات من اختصاص بوليس الآداب في كل مكان .. دي مخدرات مهربة في علب ملبس .. مؤامرة على الجماهير.
- وكالعادة المسائل اللذيذة بتروج لنفسها بسرعة، والعملة الرديئة بتطرد العملة الجيدة من السوق. دي قوانين الدنيا المنحطة جبتولنا العلم نشتريه منكم.. إنتوا ضيعتونا .. إحنا ضعنا .. أنا عاوز خرابتى القديمة مش عايز منكوا حاجة". (xvi)

وفى مسرحية (الإنسان والظل) التي كتبها مصطفى محمود عام ١٩٦٤ يسخر مصطفى محمود من كل شئ مادي صنعه العقل والمنطق. وشخصية (رحمي) في المسرحية هو رمز للقوانين المادية التي نظمها الإنسان بغية تحقيق العدالة في الدنيا، ولكن نفس القوانين تلك هي التي تؤسس للظلم، إنها قوانين مادية منقوصة من صنع بنى البشر.

"رحمي: بذمتك فيه في الدنيا عدالة؟ القاتل الذكي اللي بيقتل عيني عينك في حروب النهب والعدوان حد ببقوله تلت التلاتة كام مش بياخد نيشان وترقيه على جريمته، ويقولوا عنه البطل اللي دافع عن الديموقراطية والحرية وحرر الشعب من العبودية ... الخ. ما هو كل واحد حيلاقى له شعار وكلام يقوله. وما دام معاه أوامر وورقة ممضية حيقدر يعمل أي حاجة .. يقتل .. يسرق .. يعنى السفاح بشندى إلى إحنا سجناه بأوراق وأحكام وحيثيات يعنى أنت متأكد إنه مجرم .. ولما أنت متأكد إنه مجرم .. كنت بتدافع عنه ليه وتطلب ليه البراءة."" [xvii]

و(رحمي) هو القاضي الذي تحول لآلة تنفذ القوانين، وتنتهي المسرحية بإعلان رحمي رغبته في إحالته على المعاش ليدخل في حالة من الصراع النفسي حيث يعتريه الشك في كل أمر.

"رحمي: (ساخرا) حقيقة إيه وعدالة إيه، إحنا حنغنى على بعض هو فيه حاجة على الدنيا دي اسمها عدالة ولا حقيقة؟ أنا تعبت، وعايز أعرف إيه النهاية، إيه نهاية دة كله.

الأم: أنت إلى قفلت على نفسك .. أنت اللي سجنب نفسك، ربنا بيساع في رحمته كل الناس .. لكن إنت اللي حرمت نفسك من رحمة الله .. قفلت عقلك مش عايز تصدق، قفلت قلبك مش عايز تحب، خنقت عواطفك مش عايز ترحم .. مش عايز تآمن بأي حاجة .. أنت إلى بنيت حواليك الجدران دي كلها." [xviii]

وبذلك يوضح مصطفى محمود على لسان أم (رحمي) حال الإنسان المعاصر الذي قيد عقله بالماديات.

ويصور مصطفى محمود في مسرحية (زيارة للجنة والنار) مصير الجبارين والفاسدين والملحدين ورواد المادية أمثال (كارل ماركس) و(لينين) حيث تبدأ المسرحية بموت أحد المجرمين وتتعالى الأصوات إن العدالة لم تتحقق فيه بعد، فيقول "السجان: العدالة فوق .. هناك حيث ذهب .. لا توجد عدالة على الأرض.

الأصوات: ولكنه أفلت لقد قتل مليون برئ ومثل بآلاف الجثث وأحرق آلاف الأطفال والنساء إنه سفاح، إن أولاده يمرحون في الملايين التي سرقها، والجرائد تتغنى في امتداح سيرته.

السجان: إنه يحاكم الآن، ويضرب على قفاه.

الأصوات: أين هي تلك المحاكمة .. وأين القضاة .. وأين المقصلة.. إننا لا نرى شيئا إلا رجلا يموت. إذا كنت تقصد عذاب الضمير، فهو بلا ضمير.

السجان: بل أقصد هذا الذي تشهدون." [xix]

ويختفي السجان وتزاح الستار عن مشهد الجحيم والنيران والزبانية وحوار بين الآثمين والشياطين ليلقوا اللوم على شياطينهم، ومشهد آخر للجنة ونعيمها، وبعد إعلان أهل الجحيم أنهم سوف يقومون بثورة ترفض مصيرهم تنزل الخطاطيف لتمسك برؤوس المتمردين الذين نشروا الخراب في الدنيا بفكرهم الهدام.

ويعرض مصطفى محمود الصراع المستمر بين الحق والباطل، بين الظالم والمظلوم، بين الحرية والاستبداد ففي مسرحية (جوما) والتي أعيد طبعها باسم (الزعيم) والتي كتبها عام ١٩٦٨ والمسرحية تتناول قصة البطل العربي (جوما) وكفاحه ضد الحكم التركي في الشمال الأفريقي على مدى عشرين عاما. ورغم أن تلك المسرحية تحث على التشجيع لمواجهة العدو خاصة وأنها كتبت بعد النكسة، إلا أن مصطفى محمود لم يتبنى فكرة مواجهة العدو ببسالة فقط، بل إنه تبنى فكرة محاربة الظلم في ذاته، لقد أراد (جوما) العدالة في عالم يعج بالخيانة والغدر والظلم، لقد تشوه العالم وتشوهت الإنسانية جراء أطماع الغرب .. الغرب الذي أراد دوما أن نكون الحلقة الأضعف سواء باستعمار الأرض أو باستعمار العقل.

"جوما: نحن لا نحارب لنقتل، ولكن نحارب لإحقاق العدل والمساواة فالحروب لا تكسب بالأذرع وحدها ولكن بالحكمة والخبرة". [xx]

تابع مصطفى محمود نقمته على الفكر المادي الغربي في مسرحية (الطوفان) والمسرحية تأتى ضمن كتاب الطوفان – والذي أشتمل على عدة قصص ومسرحيات ذات الفصل الواحد والتي كتبها من العام ١٩٧٢ حتى ١٩٧٦ – والمسرحية هي محاولة كشف بها مصطفى محمود حال العالم وما يعتريه من مشكلات اقتصادية وصحية في إشارة لإلقاء اللوم على الصناعة الغربية التي دمرت كل شئ.

"مسيو أحمد : والله ما جاب أجلنا إلا العلم .. كل علمكم في خدمة الحروب والهلاك والتدمير.

د. شاخت : أنت بتشك في العلم يا مسيو أحمد.

أحمد : أنا أؤمن بالعلم وديننا أمرنا بالعلم لكن العلم النافع مش العلم الضار.
هو التضخم سببه إيه .. سببه أنني أنا يا مصنع ياللى باستلف الفلوس بالربا والفوائد عشان أرد الدين اللي بيتراكم عليا أضعاف. لازم أرفع أسعاري أضعاف.
شوف الفلوس بتتولد إزاى يا مستر باركر، بتتولد ولادة غير شرعية بالربا والفوائد للأموال العاطلة النايمة في البنوك .. والسلف بالفوائد الباهظة للدول الفقيرة اللي زى حالتنا" (xxi)

ويدور حوار حول المشاكل الاقتصادية، ويدعو مصطفى محمود للاقتصاد الإسلامي الذي يلغى الربا ويأتي بالعمل والمجازفة بالمشروعات التعميرية.

ويعبر مصطفى محمود عن نقمته على حال الإنسان البائس على لسان أحمد:

" جميع النظم فاسدة في الشرق والغرب، لأنها قايمة على الحسابات المادية وحدها، على المصالح المادية والأرقام، في السويد منتهى الرخاء المادي والحرية المادية والجنس بلا كبت، لكن تلاقى أعلى معدلات الجنون والانتحار. لأن البطن شبعت والغرائز شبعت لكن الروح عطشانة والفطرة مشوهة. فالحياة خلت من فكرة الله والخلود والعدل المطلق، وأصبحت مسطحة، أصبحت مجرد أكل وشرب وجنس. وبعدين التراب." (xxii) وتجتمع شخصيات المسرحية لتقر حلا لإنقاذ العالم..

"باركر: في الواقع انتم مدعوين النهاردة للتفكير في وضع العالم الدقيق .. العالم يا جماعة على حافة كارثة .. الانفجار السكاني تجاوز حدود الموارد المتاحة، وفيه أزمة أكل وأزمة طاقة، وتلوث البيئة أتلف الثروة الحيوانية والنباتية وبيهدد الإنسان نفسه بالهلاك، والتضخم جعل العملة بدون قيمة، ومجاعات وأمراض وأوبئة من أنواع جديدة بتواجهنا" (xxiii)

وتأتى شخصية (نوح) الذي يلجأ البعض له ليحل الموقف ليقول ..

"نوح: مركبك نفسك .. إذا ركبت نفسك نجوت، وإذا ركبتك نفسك هلكت .. أنتم ضيوف على هذا الكوكب .. كل منكم زائر عابر، أنتم مدعوون، دعاكم الله لقضاء يوم فى مملكته .. هل يشغل عابر السبيل نفسه بتكديس الممتلكات على كاهله .. كل واحد عليه أن يمتلك ثوبه ودابته ولقمته، وسوف تكفينا الأرض وزيادة. (xxiv)

يستمر الجميع من حكام العالم الغربي في السخرية وعادوا لأفكارهم في تشجيع العلم وعادوا لأطماعهم المادية والتفاخر بقوى دولهم النووية، وعندما يتشاجر سادة العالم الصيني والروسي وغيرهم وكل منهم يهدد الآخر بقوته. يحدث (مفستو) الرجل الشيطانى في خبث نفسه وكأن مصطفى محمود يدلل به على الطمع الصهيونى.

"مفستو: شعلل خلى العالم بركان
عض يا واد في أخواتك عض
اتخانقوا .. اتخانقوا .. واقتلوا بعض
وأنا في الآخر .. حاورث وحدي كل الأرض" (xxv)

وتنتهي المسرحية بانفجار جراء اختراع جديد يودى بحياة نصف سكان الأرض .. وذلك بعد أن وضع مصطفى محمود على لسان بعض شخصياته مثل (أحمد) و(نوح) حلا للهزل المادي الذي تسبب في الهلاك، ذلك الحل المتمثل في الرجوع إلى مبادئ الدين وقواعده.

ويتابع مصطفى محمود هدفه في ضرورة التمسك بالإيمان الذي هو منبع السلام والحب مع ضرورة البعد عن الفكر المادي ففي مسرحية (سكر ولمون) وهى إحدى مسرحيات كتاب (الطوفان) يرصد مصطفى محمود حركة المجتمع من أيام العربة الكارو إلى عصر الذرة والصاروخ، ولكن تعرض المسرحية لتسجيل أحد المذيعين لمجموعة لحظات تروى قصة الحب والزواج على مدى عشرين سنة، تطور فيها العالم، وانحدر فيها كل ما هو إنسانى. (xxvi)

في المشهد الأول يظهر رجل وامرأة في حالة حب جالسين في الكازينو يشربون عصير الليمون. وفى المشهد الثاني يجلسان في بيت الزوجية بعد ثلاث سنوات لتحمل الأم طفلها ويقرأ الرجل في الجريدة وعلى المائدة أيضاً الليمون وقد بدأت حالة من الفتور بينهما. ويأتي المشهد الثالث بعد مرور عشر سنوات لتبدو الزوجة سمينة مدخنة وحولها أربعة أطفال ويبدو الزوج نحيلاً يطالع كتاباً والليمون أيضاً على المنضدة ويدور بينهما شجار. وتنتهي المسرحية بالمشهد الرابع بعد مرور عشرين عاماً في ومن نفس المكان خمسة أولاد يتشاجرون على المال وينتهي المشهد بالسب وتخطف الزوجة دورق الليمون وترميه على الزوج الذي يخطف العصا ويضربها .. ويتحول الحوار تدريجياً من حالة حب إلى حالة من الكره.

"هو: اللمون معطب والسكر فيه نمل
هي: طبعاً
هو: هاتى لنا مية من الحنفية. المية باردة أوى
هي: قوم أنت. أنت معندكش إحساس." (xxvii)

لقد تعمق مصطفى محمود إلى التحولات الجذرية التي طرأت على الإنسان الذي افتقد معانى الحب في عالم لم يعد فيه الحب هدفاً بل أصبحت الماديات والأمور الحسية هي المسيطرة على البشر.

أما مسرحية (أنشودة الدم) وهى إحدى مسرحيات كتاب (الطوفان) يتساءل مصطفى محمود مستنكراً عن جدوى الحروب والتطاحن الذي خلقه العالم المادي، وتدور المسرحية في صحراء مقابر العلمين والتي يحرسها حارس انجليزى ثم يظهر رجل في الأربعين في طلة مهيبة، جاء ليزور القبور، ويحكى الحارس عن الحرب وأهوالها وكيف مات زملاؤه وصديقه المقرب، ليتضح أن الزائر هو قاتل الصديق، ويدور حوار لذم فكرة الحرب والتي بنيت على الأطماع المادية. تلك الأطماع التي صاغها الغرب ووضع لها الأطر والقوانين التي تروج لمشروعيتها.

"الزائر: لقد تعلمت .. لقد تعلمت أنه لا فائدة .. الغالب والمغلوب كلاهما رأيتهما مهزومين خاسرين أمامي.

لقد أفلس الكل، ولم يكسب أحد"[xxviii]

وإجمالاً لقد دعا مصطفى محمود في السبع مسرحيات تلك إلى رفضه للفكر الصهيونى الهدام، وكذلك رفضه إتباع التطورات العلمية الغربية الهدامة تلك التطورات التي بنيت على الأطماع، تلك الأطماع التي أدت إلى الحروب، والظلم لبنى العرب، كما دعا لهجر الفكر المادي المهلك للبشرية بينما دعا للتمسك بالقواعد والمبادئ الدينية في شتى مناحي الحياة تلك المبادئ التي أسس لها رب الكون وصاحب العدل لتعود النفس البشرية لفطرتها المحبة لتعيش في سلام داخلي وخارجي مع العالم المحيط.

المحور الثاني: التحكم في النوازع البشرية:

تميز مصطفى محمود بقدرته على الغوص في أغوار النفس البشرية وتصوير ما يعتريها من صراعات وتساؤلات بغية الوصول بالمتلقي إلى استرشاد طريقه في الدنيا بترك الشهوات والنوازع السلبية التي تؤدى إلى الهلاك. يقول مصطفى محمود على لسان (الشيخ طنطاوى) في مسرحية (الشيطان يسكن في بيتنا).

"طنطاوى: الإنسان اللي بيقاوم نوازعه الشريرة هو على الأقل إنسان ترجى نجاته وفيه أمل منه .. أما الإنسان اللي يستجيب لكل وسوسة بفعل فوري .. فهو إنسان انضم إلى زمرة الحيوان وانتهى أمره".[xxix]

لقد صور مصطفى محمود صراع النفس في حوار (طنطاوى) و(سونيا) قائلا:

"سونيا: أنا هدفي من الدنيا الانبساط .. وربنا خلقنا في الدنيا عشان ننبسط ونتمتع. خلق لنا الأكل عشان نأكل مش عشان نجوع ولا إيه.

طنطاوى: ربنا خلق لنا شهوة البطن عشان نقاومها، وخلق لنا شهوة الجنس عشان نحكمها، ربنا خلق لنا الجسد زى السلم عشان نقهره ونطلع عليه .... يعنى الإنسان مابيقاش إنسان إلا لحظة ما يقاوم شئ بيحبه أو يتحمل شئ يكرهه .. أما حالة الاستسلام لكل نزوة فهي دي الآلية الحيوانية .... الإنسان مقاومة وعمره ما يكون استسلام.

سونيا: أنا عقلك الباطن بكل رغباته القذرة .. أنا غريزتك المغروسة فيك .. مش حتقدر ترفضني ولا تنزعني من دمك ولحمك، مش هتقدر تسلخني لأني حتة منك .. لأني حقيقتك .... أنت حبيبي وأملى وحياتي ونجاتي

طنطاوى: بل هلاكي ولعنتي وضعفي

سونيا: أبداً أنا نشوتك وأنسك وراحة قلبك.

طنطاوى: أبداً .. أنت ضياعي وانحطاطى"[xxx]

لقد كانت اغواءات (سونيا) والتي لمست النزعة الغريزية لطنطاوى هي سبب مشاركة طنطاوى في الفساد، تلك النزعة الشريرة المغروسة في البشر هي السبب الحقيقي للانحطاط إذا لم يتم السيطرة عليها. ليست النوازع الحسية فقط هي ما ينبه لها مصطفى محمود. ففي مسرحية (إسكندر الأكبر) والتي كتبها عام ١٩٦٣ أشار مصطفى محمود لنزعة الغرور والطمع، وتعرض المسرحية لحياة إسكندر الحربية وغروره بنفسه.

"لإسكندر: أسمعتم ما قاله الإله .. لي أبدية رع وملك حور. الأقطار قاطبة مملكتي. الأرض، كلها تحت نعلى"(xxxi) ليأتي الكاهن المصري ليقضى بذكائه على عدوه بسلاح خصمه وهو الغرور، لقد سيطر عليه بإطرائه وإقناعه بأكذوبة أنه ابن آمون الإله لينتهي به الأمر إلى الموت بغروره المفرط حيث أضاع عمره في رغبته المستمرة في الاستيلاء على الأرض. موضحاً هنا إلى أن الإنسان رغم أطماعه ومحاولاته في كسب الكثير في الحياة ففي النهاية هو للموت ملاقياً.

ويؤكد مصطفى محمود على أن الدنيا هي دار ضيافة وجب فيها السمو بالنفس من أجل حياة مستقرة وسعيدة، وذلك في مسرحيته (جهنم الصغرى) التي أوضح فيها أن "الأكواخ قد تحمل على صغرها سعادة وراحة للإنسان، وقد تكون القصور بجدرانها وأضوائها البراقة جهنم الصغرى، وقد يتعجب البعض، وقد يرفض ولا يصدق البعض الآخر. لكن بعد قراءة المسرحية نعرف أن كل جنة دنست بأفعال الغش والكذب والسرقة لابد وأن تتحول إلى جهنم. فها هو رجل الأعمال (أحمد الشهاوى) وزوجته وأولاده وحياتهم المليئة بالبذخ والملذات والمعاصي لم تمنع عنهم الكبوات والتي حولت دنياهم المزيفة التي صنعوها على أسس النوازع الإنسانية السلبية من النعيم إلى الشقاء"(xxxii) فالطمع الدنيوى لا يسبب التشوه في حياة الفرد وحده بل يمتد أثره إلى بقية المجتمع.

وتبدأ مسرحية (جهنم الصغرى) بليلة عيد ميلاد المليونير رجل المقاولات (أحمد الشهاوى). موائد فخمة من الطعام. العائلة مجتمعة، الموسيقى تملأ المكان. وأبناؤه يقدمون التهاني. ثم يفاجئ (أحمد الشهاوى) الجميع بكلماته التي يصور فيها حال العالم فيقول:

"أحمد: في الهند وباء وفى اليابان زلازل وفى الصين أعاصير وفى اليمن جفاف والزرع بيموت من العطش .. وفى السودان سيول والزرع بيموت من الشرب .. وفى الصومال مجاعة والكل بيموت من الجوع .. وإحنا هنا في الأودة دي بنشرب عشر أنواع مية غازية ومعدنية وكحولية .. وعشر أنواع جبن ولحم وفراخ وسمك وعشر أنواع جاتوه وتورتة وساندوتش وتوست .. ونأكل لقمة ونرمى عشرة .. وفى أمريكا بيرموا القمح في البحر عشان يرفعوا سعره، وفى العراق وإيران بيفجروا خزانات البترول موارد ثروتهم الوحيد وفى الشرق والغرب

بيصرفوا المليارات على السلاح ويشتكوا من الفقر .. ده يبقى اسمه إيـــه ... إن انعدام الوزن وانعدام العقل وانعدام الأخـــلاق .. وانعـــدام الضـــمير .... فـــؤاد صاحبي نافسني في السوق وهزمته، قام دخل من الشباك ياخـــد مراتـــى، إحنـــا بنتسابق على إيه .. الدنيا كلها كدبة وهم وسراب[xxxiii]

ويبدو من الأحداث أن أحمد على علاقة بأخرى غير زوجته، وكذلك الزوجة على علاقة بصديق زوجها. ويعترف أحمد بأنه مريض بورم في المخ وباقي من عمره أيام أو شهور ثم يكتشفون هرب شريكه الذي زور الأوراق التجارية مما يجعل أحمد يفلس، وينفض الجميع من حول الأسرة، وتقرر الأسرة أن يقوم (أحمد) بعمل عملية قد ترجعه للحياة أو لا .. تعي (نعمت) زوجة (أحمد) المصيبة وتتمنى العودة للماضي لتلافى أخطائها. ولكن يكذبها (الدكتور توفيق) ويعرى لها نفسها فيقول:

"توفيق: الوعي ده ماجالكيش إلا دلوقتى .. لما عشتى الفقر واتعريتى من كل شئ .. ولـــو رجعتى نعمت المليونيرة .. حينزل على عنيكي حجـــاب الغنـــى مـــن جديـــد .. وحترجعى نعمت الغندورة المغرورة"[xxxiv]

يرى الدكتور توفيق أنها أصبحت أسيرة نفسها. إنها لا تريد العودة للماضي لإصلاحه بل لشعورها برغبة في الانتقام ممن حولها، لم ينصلح حالها بل أصبحت أسيرة نفسها وغضبها. وتنتهي المسرحية بعودة نعمت وأحمد لحالهما السابق رغم ما تعرضوا له من محن أطلقت لديهم الوعي الكافي لإصلاح أنفسهم من الشهوة الحسية وشهوة جمع المال، لقد امتلكتهم شهوة المال والسيطرة، هذا هو حال العالم الذي أشار له مصطفى محمود، العالم الذي يعج بالفوضى نتيجة انعدام وعى البشر بالسير في الطريق القويم.

"نعمت: طب ليه الدنيا فوضى، ليه كلها عذاب

المحامى: هي فوضى بسببنا إحنا. تصريفنا لدنيانا هو اللي سبب كل الفوضى والعذاب. ربنا بيحب الكل. لكن الإنسان هو اللي عدو نفسه"[xxxv]

أما في مسرحية (الزلزال) فيبرز مصطفى محمود عدة شخصيات متناقضة: الطماع والمتعلم ومحبي الحياة وراغبى الموت. تبدأ المسرحية في بيت الحاجة زنوبة (البخيلة

الثرية) وهى سيدة في التسعين تجلس على سجادة الصلاة تدعو وتبتهل وتنعم بصحة جيدة. يدخل ابنها ليعطيها إيراد الأرض وتشكك في ذمته وتنادى الخادمة لتبلغ أختها (هانم) أن تأتى لها لأنها هي الوحيدة المخلصة لها، والباقون يريدون موتها ليرثوها .. ويدور حوار بين الأخوين مراد الطماع وأحمد الطيب الخير .. ثم تدخل ابنة مراد وزوجها وأولادها ومعها مخرج ومنتج ثم تأتى الإبنة الثالثة لزنوبة وهى عانس، ويبدو أن (زنوبة) تحب ابنة مراد فهي ترى فيها شبابها وتعطيها المال رغم أنها رفضت إعطاءه للطبيب لعمل مستوصف خيري.

يعلن (شفيق) زوج الحفيدة أنه رأى خبراً بأن القيامة ستقوم بدلائل فلكية، وإشارات المنجمين الهنود، فيتهكم كل منهم على طباع الآخر وينتهي الفصل الأول مع صوت رعد ليعم الرعب. ثم يفتتح الفصل الثاني ليفيق الجميع على خراب وهدم، ويتشكك البعض أنهم في الدنيا. ويقول (شفيق) أن المنجمين الهنود قالوا أن القيامة سوف تحدث خلال ٥٨ ساعة كي تنتهي الحياة تماماً على الأرض. وبذلك تكون تلك هي المهلة الأخيرة لوجودهم في الدنيا.

يقول مراد بأن عليهم توزيع الميراث حيث يكتشف الإبن بأن (زنوبة) تكتنز المال تحت البلاط وظل مصطفى محمود يسخر من فناء الإنسان في أي لحظة وذلك على لسان شخصياته في محاولة لتنبيه المتلقي لمراجعة أعماله في الدنيا وإصلاح ذاته.

"أحمد: دول مش فلوس .. دول كانوا فلوس لما كان فيه في الدنيا ناس بتبيع وتشترى. إنما دلوقتى بقوا ما يساووش حاجة.

أحمد: عشت طول عمرى أفرح وازعل واغضب وأثور وأتجنن والآخر باموت وأنا مش فاهم حاجة مش فاهم ليه كنت باتشنج كده وعلى إية؟ كله حيبقى بسوا الأرض كمان يوم أو اتنين. كان إيه لازمة الزعل ده كله؟ أما أنا كنت مغفل"[xxxvi]

ويتابع مصطفى محمود التنبيه لإيقاظ الوعي وإصلاح النفس فكل منا إلى الموت والفناء ذاهب. ففي مسرحية (الوهم والحقيقة) وهى إحدى المسرحيات القصيرة في كتاب (الطوفان). يعرض مصطفى محمود لقصة حب بين (تى) و(بتاح) في طيبة الفرعونية،

ولكن يتقدم الملك (سنفرو) المسن طمعاً في الزواج من (تى) الجميلة التي تبكى على حالها .. وبعد ثلاثة عصور يجد الحفارون الأثريون مكحلة (تى) ويقول عالم الآثار:

"هنا تنام ثلاثة عصور فوق بعضها عصر فرعوني وعصر روماني وعصر فاطمي، ترى أي عين اكتحلت وأي نظرة كانت في تلك العين وهى تكتحل وأي دموع سكبتها وعلى من سكبتها"...[xxxvii]

وتنتهي المسرحية ليشير المهندس الأثري إلى آلاف الأطنان من التراب ويقول: "تراب .. تراب .. تراب .. هذه هي العصور الثلاثة" [xxxviii] ولكنها هي الدنيا في مفهوم مصطفى محمود.

وقد خلصت الباحثة إلى بعض النتائج أهمها:

- إن آفة المجتمع العربي تكمن في انسياق العقول العربية للحضارة الغربية في كافة المجالات وهو مالا يتفق أحياناً مع الروح العربية بمبادئها وأخلاقياتها، فكل ما ينتجه الغرب يبدو دائماً براقاً ومقنعاً ومشجعاً للخواء النفسي والعقلي الذي يعيشه الإنسان المعاصر، ولذلك حذر مصطفى محمود من إتباع تلك الحضارة دون إعمال للعقل، كما نبه إلى ضرورة التحكم في النوازع البشرية السلبية التي هي مكمن الهلاك للإنسان والمجتمع.
- إن وظيفة العمل الفني عند مصطفى محمود تقوم على خلق أجواء المتعة الفنية والصدق لتحقيق رسالة عبر الفرجة المسرحية ولذلك وجب تحطيم البني القديمة التي صدرها لنا الغرب. لينشئ عالماً جديداً إيجابياً وعفياً .. وإيماناً بدور الفن في ترقى النفس والمجتمع، اعتمد مصطفى محمود الإصلاح الفكري مبدأ في أعماله الفنية ناقماً على كل ما يقدم من فن حسى يهلك النفس وأفكار هدامة تغيب العقل. وتوصى الباحثة بضرورة اهتمام المراكز الفنية بأعمال مصطفى محمود المسرحية، لما فيها من ثراء فكرى يؤسس لمسرح عربي أصيل وراق.

مراجع البحث

(i) محمد ضاهر: "مصطفى محمود ومحنة البحث عن اليقين". مجلة العربى، العدد ٥٦٩، ٢٠٠٦/٤.
(ii) من مقال أكذوبة العلمانية. صفحة الدكتور مصطفى محمود Dr. Mostafa Mahmoud
(iii) ملف كامل عن د. مصطفى محمود dvd٤arab.maktoob.com
(iv) الموقع نفسه
(v) بوابة الفجر الإلكترونية ٢٠١٤/٩/١٦ new.e/fagr.org.
(vi) الموقع السابق ذكره .dvdarab.maktoob.com
(vii) خالد الزهرانى، نادى إقرأ، مقال (مصطفى محمود المنتصر على نفسه)، ٣١ أكتوبر ٢٠٠٩. www.rclub.com
(viii) موقع الدكتور أحمد صقر (المسرح الفكرى فى مصر) www.drahmedsaker.com
(ix) مصطفى محمود (رحالة زاده الإيمان) ٢٠١٢/١٠/٤ main.islammessage.com
(x) مصطفى محمود: أهل الله وأهل الشيطان dmostafamahmoud.blogspot.com
(xi) مصطفى محمود: "رحلتى من الشك إلى الإيمان". دار المعارف بمصر، ١٩٧٦، ص ١٠١، ص ١٠٣.
(xii) مصطفى محمود: "الشيطان يكن فى بيتنا". أخبار اليوم، قطاع الثقافة ٢٠٠٣، ص ٨١، ٨٢، ٩٢، ٩٣.
(xiii) المصدر نفسه ص ٧٤.
(xiv) المصدر نفسه ص ٨٣.
(xv) المصدر نفسه ص ٩٠.
(xvi) المصدر نفسه ص ٤٥، ٦٢، ٨٠.
(xvii) مصطفى محمود: "الإنسان والظل". دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة والكتب والمكتبات د.ت، ص ٢٦.
(xviii) المصدر نفسه، ص ٢٥، ٢٦.
(xix) مصطفى محمود: "زيارة للجنة والنار". كتاب اليوم، عدد نوفمبر، د.ت، ص ١٢، ١٣.
(xx) مصطفى محمود: "الزعيم". دار المعارف، الطبعة الرابعة، ص ٢٨، ٣٢.
(xxi) مصطفى محمود: "الطوفان". دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٤، ص ١٢، ١٣، ١٧.
(xxii) المصدر نفسه، ص ٢٣، ٢٤.
(xxiii) المصدر نفسه، ص ٣٠.
(xxiv) المصدر نفسه، ص ١٤.
(xxv) المصدر نفسه ص ٣٩.
(xxvi) المصدر نفسه، ص ٣٩.
(xxvii) المصدر نفسه، ص ٤٩، ٥١.
(xxviii) المصدر نفسه، ص٨٦.
(xxix)مصطفى محمود: "الشيطان يسكن فى بيتنا". مرجع سبق ذكره. ص ٢٠.
(xxx) المصدر نفسه، ص ٢٢، ٢٨-٣١.
(xxxi)مصطفى محمود: "الإسكندر الأكبر". دار المعارف، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧، ص ٢٦.
(xxxii) www.mybook٤u.com
(xxxiii) مصطفى محمود: "جهنم الصغرى". دار المعارف، د. ت، ص١٠، ١١.
(xxxiv) المصدر نفسه، ص ٥٠.
(xxxv) المصدر نفسه، ص ٤٣.
(xxxvi) مصطفى محمود: "الزلزال". دار المعارف بمصر، د.ت، ص ٥٠، ٥٧.
(xxxvii) مصطفى محمود: "الطوفان". مرجع سبق ذكره، ص ٦٧.
(xxxviii) المصدر نفسه، ص ٦٨.